

## الفصل الثامن

التربية الأوربية فى العصر الحديث



## الفصل الثامن

### التربية الأوربية فى العصر الحديث

يتفق أغلب المؤرخين على أن عصر النهضة الإيطالية يحدد بداية العصر الحديث. فى القرن الرابع عشر حدثت تغيرات عميقة فى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والعلمية والفلسفية والأدبية والتربوية فى إيطاليا وانتقلت هذه التغيرات إلى مختلف أجزاء أوروبا . وحدد إيسى وأروود Eby & Arrowood ( ١٩٤٠ ، ص ص ٨٣٩-٨٥٦ ) أهم ملامح عصر النهضة فى الإتجاه الجديد نحو احترام البدن بدلا من اعتباره سجنا للروح ، وزيادة الثروة والاتجار مع الشرق والشمال ، والسفر والمغامرة والاكتشافات الجغرافية ، ونمو اللغات القومية والفردية والفنون ، واختراع الطباعة وظهور الإتجاهات العلمية . وحدد محمد منير مرسى ( ١٩٨٣ ، ص ٣٤٠ ) أهم ملامح عصر النهضة فى تفكك النظام الاقطاعى ، ونمو السلطات السياسية والقومية ، ونمو التجارة وازدهارها ، وتمرد الفلاحين والعبيد على أسيادهم ، وثورة الملوك ضد السلطة البابوية ، والاتجاه العلمى فى تفسير الظواهر الطبيعية . ولقد صاحب هذه التغيرات مفاهيم أو إتجاهات أو نظريات تربوية كان من أهمها الحركة الإنسانية ، والإصلاح الدينى ، والحركات الواقعية والطبيعية والنفسية والاجتماعية . وفيمايلى نناقش تلك الإتجاهات التربوية التى ظهرت فى عصر النهضة ، ونمت وتطورت خلال العصر الحديث.

#### أولاً: الحركة الإنسانية؛

كانت النظرية الإنسانية من أولى النظريات التربوية الحديثة التى ازدهرت فى عصر النهضة ، وإن كانت أصولها ترجع إلى عصور سابقة . فلقد نما الإتجاه الإنسانى النسبى على يد السوفسطائيين فى أثينا ، ونما الإتجاه الإنسانى العلمى على يد أفلاطون ، ونما الإتجاه الإنسانى الأدبى فى روما على يد إيزوقراط . وفى عصر

النهضة ظهر اتجاهان إنسانيان : اتجاه فردي فى إيطاليا يؤكد على الثقافة الشخصية والنمو الفردي والحرية الفردية باعتبارها أسساً للحياة الثرية الجديرة بأن تعاش . وعنى أصحاب هذا الاتجاه بالثقافة الكلاسيكية القديمة يونانية ورومانية، والاتجاه الثانى ظهر فى شمال أوروبا ويؤكد أصحابه على مفاهيم الإصلاح الخلقى والاجتماعى باعتبارها أنسب طريقة لإثراء الحياة الإنسانية . وفيما يلى نناقش الاتجاهات التربوية للحركة الإنسانية بصفة عامة .

#### أ- أهداف التربية:

أكدت الحركة الإنسانية حرية الفكر والتعبير عن الذات من خلال الفن والأدب والموسيقى . ولقد تمثل هدف التربية الإنسانية فى الاستمتاع بالحياة الراهنة وتحقيق الانسجام بين العقل والجسم والخلق . يقول بول مونرو (Monroe ١٩٠٥ ، ص ٣٦٩) : «لقد استهدفت هذه التربية تنمية الإنسان الحر الذى يمتلك فرديته وقوة المشاركة فى الحياة اليومية استنادا إلى معرفة واسعة بالحياة فى الماضى وتقدير غرض الحياة فى الوقت الراهن » ويذهب بور Power ( ١٩٨٢ ، ص ١١١ ) إلى أن رجالا من أمثال بترارك ورازموس حاولوا البلوغ إلى الحياة الطيبة باستخدام عقولهم ، وتوقعوا أن يكتشفوا فى الأدب الكلاسيكى تلك المثل التى تدفع الناس إلى معرفة الحياة الإنسانية . إنهم آمنوا بأهداف إنسانية لا أهداف أزلية . وواجب التربية فى رأيهم تنمية هذه الإمكانيات الإنسانية بأقصى ما تستطيعه الطبيعة الإنسانية . أما أصحاب الاتجاه الإنسانى الاجتماعى والدينى فقد استهدفوا الإصلاح الاجتماعى وترقية العلاقات الإنسانية والاجتماعية عن طريق استيعاب الأناية والطمع والنفاق . ولذلك وضع ارازموس الهدف الدينى قبل الهدف التعليمى ، والواجبات الدينية قبل الأخلاق الاجتماعية فى مناقشته لأهداف التربية . يقول محمد منير مرسى (١٩٨٣ ، ص ٣٥٤) : «يعتبر إراز موس الهولندى من أكثر المرين الإنسانيين الذين حظوا باحترام علمى كبير . منذ كان لدراساته وبحوثه على المخطوطات القديمة والدينية تقدير كبير من جانب المشتغلين بمثل هذه الدراسات . وكانت أفكاره التربوية ذات

اتجاه ديني بصفة عامة حيث أكد أن الدين أول واجب للتربية بالإضافة إلى الفنون الحرة وتعليم الفرد واجباته في الحياة وتعليم الأخلاق الحميدة من الطفولة المبكرة».

#### ب- أنواع التربية:

اعتمد تحقيق الأهداف الإنسانية على عدة أنواع من التربية هي التربية الأدبية ، والتربية الجمالية ، والتربية الدينية والخلقية ، والتربية الاجتماعية . لقد أكد الإنسانون الفرديون على التربية الأدبية ، والتربية الجمالية ، وقللوا من أهمية التربية المهنية في مقابل إعلانهم للعلوم الليبرالية ، وأكد الإنسانون الاجتماعيون والدينيون على التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية الاجتماعية أكثر من إهتمامهم بالتربية الأدبية والجمالية.

#### ج- محتوى التربية:

استبدل الإنسانون بمنهج العصور الوسطى الذي يؤكد فقط على التربية الدينية منهجاً أوسع يؤكد الإهتمام بالعالم الواقعي . وكان هذا المنهج الجديد شاملاً بحيث غطى مختلف جوانب الحياة . لقد إهتم الإنسانون الفرديون بالحياة الحقة كما بدت في أعمال الاغريق والرومان ، واعتبروا هذه الاتجاهات نماذج للأدب والضمير الإيطالي ، وإهتموا بوقائع الحياة الشخصية وتقدير الجمال في مختلف صورته وبالحياة البدنية والصحية . أما الإنسانون الاجتماعيون والدينيون فقد إهتموا بالكتاب المقدس وأقوال القديسين ، فضلاً عن القواعد الإغريقية واللاتينية . وأكد إرازموس على تدريس التاريخ والجغرافيا والعلوم باعتبارها علوماً مساعدة على فهم الكلاسيكيات .

#### د- المؤسسات التعليمية والتنظيم التعليمي:

ترتب على إحياء التراث الإغريقي والرومانى نشأة نوع من المدارس الثانوية الحديثة ومدارس البلاط التي كانت تعلم أبناء الأغنياء بالمصروفات وأبناء الخدم في القصر بالمجان . ولقد بين محمد منير مرسى (١٩٨٣، ص ٣٤٨-٣٥٠) أنواع المدارس التي ظهرت في عصر النهضة الأوروبية وهي المدارس الأولية المحلية التي

كانت تعلم القراءة والكتابة والحساب والغناء، والمدارس الثانوية التي كانت مدارس البلاط فى إيطاليا نموذجاً لها ، ونشأ على غرارها مدارس النحو اللاتينية فى إنجلترا ومدارس الليسيه فى فرنسا ومدارس الجمنازيوم فى ألمانيا ، والجامعات التى قامت بدور كبير فى دفع الحركة الإنسانية من خلال إهتمامها بالدراسات والأداب الكلاسيكية ولقد اختلفت التنظيمات التعليمية فى شمال أوروبا عنها فى إيطاليا فمدارس النحو الانجليزية كانت داخلية ومدارس الجمنازيوم فى ألمانيا كانت نهارية وكانت المدارس والجامعات مفتوحة للبنين فقط وحرم منها النساء . أما فى إيطاليا فكانت جميع المدارس داخلية وتعد للالتحاق بالجامعة.

#### هـ- طرق التعليم:

صاحب تأسيس المدارس الثانوية الإنسانية استخدام طرق تعليمية جديدة. فمع ظهور الكتب وكثرة تداولها بين الطلبة تجنب الأساتذة طريقة المحاضرة واعتمدوا على تدريس موضوعات مكتوبة وتجنبوا طريقة المناظرة التى كانت متبعة فى العصور الوسطى . وإهتم المعلمون بتدريب التلاميذ على التعبير عن انفسهم باستخدام اللغات القديمة واعتبروها كما لو كانت لغات حية. وإهتم الانسانيون فى شمال أوروبا بالطريقة أكثر من اهتمام الانسانيين الفرديين فأكدوا على الإهتمام الفردى ومعرفة طبيعة الطفل والارتباط بين التربية ومواقف الحياة الفعلية وتجنبوا طرق التأديب الصارمة وأكدوا أهمية التركيز على موضوعات محددة.

#### ثانياً: الإصلاح الدينى:

أدت حركة الإصلاح الدينى التى حدثت فى القرن السادس عشر إلى تغيرات اقتصادية وسياسية وفلسفية وخلقية وتربوية. يقول إيبى وأروود Eby & Arrowood ( ١٩٣٤ ، ص ٢٩ ) : «إن ثورة القرن السادس عشر التى تعرف عادة بالإصلاح كانت شاملة متعددة الجوانب عميقة الأثر فى تاريخ العالم الغربى. فإذا تصورت أن الإصلاح الدينى كان مجرد إصلاح لتنظيم الكنيسة أو المعتقد الدينى - على الرغم من أهمية هذه الأمور - فقد أسأت تفسير الأثر العميق الذى أحدثته هذه الثورة فى مجال

التقدم الإنساني ، فلقد أثرت في كل جانب من جوانب شخصية الإنسان. لقد أدى الإصلاح الدينى إلى تغيرات سياسية واقتصادية ودينية وخلقية وفلسفية وأدبية وتنظيمية عميقة . إنه كان ثورة وإعادة بناء» لقد أكمل الإصلاح الدينى الجهود السابقة لأصحاب النهضة الشمالية حيث انتقد مارتن لوثر الممارسات الكنسية فى الأمور الاقتصادية إذ ركزت الثروة فى قبضة رجال الدين ، وكانت الهبات والمنح وأموال الزكاة تذهب إلى خزائن الكنيسة فى الوقت الذى يعانى فيه الناس من الضائقات الاقتصادية، كما انتقد أخلاق رجال الدين ودعا إلى إصلاحهم وضرورة تكسيهم من عمل أيديهم . إن لوثر لم يثر خلافات تتعلق العقيدة ذاتها غير أن إطلاع الإنسانيين على مصادر الأدب الدينى فى أصوله الإغريقية واليهودية أعان على إثارة مشكلات عقلية فى العقيدة نفسها . يقول حسن حسين البيلاوى ( ١٩٨٤ ، ص ١٢٤ ) : «تسببت النهضة التى ركزت على نقد بعض النصوص والوثائق الدينية ... فى قيام حرب عنيفة بين البروتستانت والكاثوليك ... فمن خلال البحث فى القديم وجد الإنسانيون كثيرا من الأغاليط مدسوسة فى وثائق الكنيسة». وفيما يلي نناقش الاتجاهات التربوية فى عصر الإصلاح الدينى.

#### أ- أهداف التربية؛

آمن البروتستانت أن الحياة الواقعية جديرة بأن تعاش كالحياة الدينية ، وأن على التربية إعداد الناشئة للقيام بواجباتهم المهنية والاجتماعية والمدنية والدينية. لقد اعتقد مارتن لوثر وكالفن أن التربية إعداد للحياة الاجتماعية والدينية ، وأن العقائد الدينية لا بد أن تعاش. وأكد الكاثوليك نفس هذه الأهداف عن طريق اخضاع الفرد للمجتمع لاعن طريق الجانب الفردى الذى أكده البروتستانت . فالجزويت كانوا يحاولون إعداد القادة لخدمة المجتمع النظرى من خلال تقديم تعليم خلقى ودينى يعينهم على الاضطلاع بتبعات القيادة الدينية والمدنية.

#### ب- أنواع التربية؛

إهتم البروتستانت بجميع أنواع التربية الدينية والخلقية والاجتماعية والمهنية مع غلبة التربية الدينية والخلقية على سائر أنواع التربية . وبالرغم من إهتمام البروتستانت

بالتربية البدنية والفنية وبخاصة الموسيقية فإنهم قدموا هذين النوعين من التربية لأغراض عملية ودينية . ولقد إهتم الكاثوليك بالتربية الدينية والخلقية وجعلوا التربية المهنية شأنًا من شؤون الأسرة ، وإهتموا بالتربية القانونية والطبية وبخاصة فى المدارس العليا .

### ج- محتوى التربية :

كان الدين جوهر التعليم البروتستانتي والكاثوليكى وكان الكتاب المقدس هو كتاب القراءة فى المرحلة الابتدائية . أما المدارس الثانوية فقد إهتمت بالتعليم الليبرالى وبخاصة دراسة اللغات اللاتينية والإغريقية والعبرية باعتبارها وسيلة لفهم الكتاب المقدس . كما إهتم البروتستانت والكاثوليك بالتدريب البدنى والتدريب المهنى وطالب لوثر بأن يدرس الطالب ساعتين فقط فى اليوم المدرسى ويعمل معظم الوقت فى أعمال مهنية .

### د- مؤسسات التعليم والتنظيم التعليمى :

اعتبر البروتستانت البيت مؤسسة تربية مهمة وأن التربية الأسرية أساس الحكومة الجيدة والسعادة الاجتماعية . ومن ثم أوجبوا إخضاع التربية الأسرية لإشراف الكنيسة ، ووضعوا المدرسة والكنيسة تحت إشراف الدولة . ووافق الكاثوليك على هذه الاتجاهات وإن كانوا أكثر عناية بالإشراف على سلوك الطلبة داخل المؤسسات التعليمية وخارجها . ولعل هذا يبدو من النظام الصارم الذى إتبعه الجزويت فى التربية . ولقد نظم التعليم الرسمى لدى البروتستانت والكاثوليك إلى ثلاث مراحل أساسية هى المرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية والمرحلة العالية .

### هـ- طرق التعليم :

اعتمد البروتستانت على طرق القراءة والحفظ - حفظ الكتاب المقدس وحفظ الإجابات عن الأسئلة وحفظ المنصوص والقواعد النحوية ولكنهم أكدوا على ضرورة تكييف المقررات الدراسية لاستعدادات التلاميذ . وقدراتهم ونقل الطلبة الأقدر أكاديميا إلى الصفوف الأعلى . أما الكاثوليك فقد عنوا بعناية بالغة بطرق

التعليم حيث أكد الجزويت ضرورة شرح المعلم للدرس وبيان السياق العام الذى كتبت فيه النصوص ، والعناية بالقواعد واللغة والبيان والمظاهر الجمالية. وأكدوا أهمية التكرار فى التعليم والاشراف الدقيق على التلاميذ فى جميع المراحل التعليمية، واستخدموا العقاب البدنى لأغراض تعليمية.

### ثالثا: الحركة الواقعية:

يقول وايلدز Wilds ( ١٩٤٤ ، ص ٣١٣ ): كانت الواقعية رد فعل أو احتجاج على ضيق أفق الحركتين الإنسانية والدينية. ويقول إيبي وأروود Eby & Arrowood (١٩٣٤ ، ص ٢٠٠) : بينما كان رجال الكنيسة مستغرقين فى خلافات تتعلق بالحياة الأبدية المطلقة ، ورجال التعليم منبرين لمحاربة الشكلية والروتين ، كان العلماء يزدون رصيد المعرفة الإنسانية من خلال الكشف عن الجديد. ويذهب كوبلستون Copleston (١٩٦٥) إلى أن الناس بدأوا يصنعون بالعالم الطبيعى وبدأنا نسمع عن رجال واقعيين فى مجالات الفلسفة والتربية مثل كومنيوس وديكارت ولوك . فلقد أعلن ديكارت ولاءه للواقعية باعتقاده فى وجود العالم الواقعى مستقلا عن الذهن ، وأعلن لوك انتماءه إلى الواقعية بإنكاره لنظرية الأفكار الفطرية ، واعتقاده فى أن العقل صفحة بيضاء وأن التجربة هى التى تخط عليه المعرفة من خلال الانطباعات الحسية . وفى منتصف القرن السادس عشر بدأ العلم الحديث باكتشافات كوبرنيك وكبلر وجاليليو ، واستطاع اسحق نيوتن وضع قواعد الطريقة العلمية . وبالرغم من إتفاق الواقعيين على نقدهم للاتجاهات الإنسانية والدينية لم يتفقوا على طريقة إعداد الناشئة تحقيقا لأهدافهم التى تتمثل فى العناية بالحياة الواقعية ، ومن ثم يميل المؤرخون إلى التمييز بين ثلاثة جوانب للواقعية هى الواقعية الكلاسيكية أو اللغوية أو الإنسانية ، والواقعية الإجتماعية ، والواقعية الحسية أو العلمية . وفيما يلي محاولة لبيان الاتجاهات التربوية للواقعية بصفة عامة.

#### أ- أهداف التربية:

اتفق الواقعيون الكلاسيكيون مع الإنسانيين فى عصر النهضة على أن اللغات والآداب الكلاسيكية هى خير وسيلة للتعليم الليبرالى ، واستهدفوا البلوغ إلى المعرفة

الكاملة عن المجتمع الإنساني - الدوافع الإنسانية ، والعلاقات الإجتماعية - عن طريق دراسة المدنيات القديمة. إنهم لم يدرسوا المدنيات القديمة واللغات الكلاسيكية لذاتها وإنما باعتبارها وسيلة للحصول على معرفة شاملة عن المجتمع الإنساني. أما الواقعية الإجتماعية فقد استهدفت إعداد الشباب الأرسقراطى لحياة الرجل المهذب فى عالم العمل وتزويده بالقدرات التى تعينه على النجاح فى الحياة الاجتماعية والاستمتاع بوقت فراغة ، ومعنى ذلك أن إعداد الفرد للحياة الاجتماعية مع الآخرين والتكيف معهم هى أهم أهداف الواقعيين الاجتماعيين. أما الواقعية الحسية فقد استهدفت تزويد الناشئة بالحقائق الأساسية عن العالم الطبيعى والاجتماعى التى ينبغى أن يتصرف وفقا لها وإعانة الإنسان على السيطرة على العالم الطبيعى من خلال المعرفة العلمية . وتبدو هذه الإتجاهات فى أعمال بيكون وكومنيوس ولوك وغيرهم.

#### ب- أنواع التربية ومحتواها:

إهتم الواقعيون الكلاسيكيون إهتماما بالغا بالتربية الأدبية . وإن لم يهملوا التربية العقلية والخلقية والدينية والبدنية لأنهم أرادوا إعداد الفرد للتعامل مع مطالب الحياة العملية والواقعية . أما الواقعية الاجتماعية فقد اهتمت بإعداد الشباب للحياة الاجتماعية والتعاون مع الآخرين وبالتالي اهتمت بالتربية العقلية والاجتماعية والخلقية ولم تهمل التربية البدنية أو المهنية . أما الواقعية الحسية فقد أكدت المعرفة العلمية ولم تهمل الأنواع الأخرى من التربية ولذلك اشتمل المنهج التعليمى الواقعى على العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية وغيرها مما يعد للحياة فى عالم الواقع مع اختلاف فى الإهتمام بين الواقعية الكلاسيكية والاجتماعية والعلمية.

#### ج- المؤسسات التعليمية:

اهتم الواقعيون بصفة عامة بالمؤسسات التعليمية غير الرسمية ودعوا إلى الاعتماد على المربين الخصوصيين ، وأخذ بهذا الاتجاه معظم الدول الأوربية مثل فرنسا وإنجلترا وألمانيا وهولندا .

## د- طرق التعليم؛

اهتم الواقعيون بصفة عامة بطرق التعليم وجعل التعليم خبرة سارة بالنسبة للمتعلمين وأكدوا أهمية مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ والمشاركة فى الأنشطة العملية ونقد الطرق الشكلية . وانكر مونتاني طريقة الحفظ وأكد أهمية الفهم والاحتكاك بالطبيعة والأشياء والناس وأهمية نشاط المتعلم. وأكد الواقعيون الحسيون على أهمية التلقى عن العالم الطبيعى والخبرة الحسية وملاحظة الأشياء ، واقترح ببيكون الطريقة العلمية فى التدريس . يقول سعد مرسى أحمد (١٩٩٢، ص ٤٠٥) : « يلخص موقف ببيكون فى أنه رأى وجود إعادة تربية الإنسان بطريقة علمية وسوف ينشأ نظام اجتماعى جديد مؤسس على البحث العلمى فى مظاهر الطبيعة باستخدام الاستدلال الاستقرائى ... وإذا استطاعت المدارس أن تشر المعرفة فإن هذا سيؤدى إلى حل المشكلات التى حيرت البشرية » ولقد صاغ كومنيوس عدة مبادئ تعليمية أوردها وايلدز Wilds (١٩٤٢ ، ص ص ٣٤٨ - ٣٤٩) على النحو التالى :

- ١- يجب أن يوافق التعليم الاهتمامات الطبيعية للطفل .
- ٢- الاعتماد على الأشياء فى تعليم الطفل.
- ٣- مايلم يجب أن يكون تطبيقا عمليا على الحياة.
- ٤- تعليم الأمور البسيطة أولاً.
- ٥- شرح المبادئ العامة ثم الاهتمام بالتفاصيل.
- ٦- يجب دراسة الأشياء فىتابعها.
- ٧- لايجب الانتقال من موضوع إلى موضوع حتى يتمكن الطالب من الموضوع الأول.
- ٩- يجب التأكيد على الفروق بين الأشياء حتى تكون المعرفة واضحة ومتميزة.
- ١٠- يجب تدريب الحواس والذاكرة والخيال والفهم يوميا.
- ١١- يجب أن يسير التعلم من المعروف إلى غير المعروف.

١٢- يجب أن يكون التعليم مناسب لمستوى فهم الطالب.

١٣- يجب أن يتعلم الأطفال العمل عن طريق العمل.

١٤- لا ينبغي الاعتماد على الكلمات الجوفاء فى التعليم.

#### رابعاً، الحركة الطبيعية؛

كانت الحركة الطبيعية من أكثر الحركات التربوية تأثيراً فى القرن الثامن عشر وماتلاه من قرون بتأكيدھا على الفردية والحقوق الشخصية والعدالة والمساواة والحرية. وكانت الحركة الطبيعية أيضا مقدمة للنزعتين السيكولوجية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر والاجتماعية التى ظهرت فى القرن العشرين. ولقد اختلف مؤرخو التربية على معرفة الدلالات التربوية للحركة الطبيعية لاختلاف المفاهيم التى أثارها هذه الحركة. إذ فهم البعض عبارة «التربية وفقا للطبيعة» على أنها تطبيق للقوانين الطبيعية على التربية، وفهم منها آخرون مسابقة قوانين النمو الإنسانى. فالمرتبى يجب أن يعرف طبيعة وقوانين نمو الشخص الذى يقوم على تربيته، وفهم منها البعض العودة إلى الطبيعة ومعارضة الظروف الصناعية المتكلفة التى يحيا فيها أبناء الطبقة العليا. وقراءة أعمال روسو تشير إلى مختلف هذه المفاهيم. فالمفهوم الأول والثانى يتعلقان بالطبيعة كما تدركها الخبرة الحسية. والطفل هنا يكون موضوعا طبيعيا أو حيوانا إنسانيا يجب أن يعامل وفقا لظروفه ووفقا لقوانين نموه. وهذا المعنى موافق لفكر روسو الذى يؤكد معاملة الأطفال باعتبارهم أطفالا لا راشدين صغار. فالأطفال فى رأيه لا يفكرون كما يفكر الكبار، وليس لهم حاجات كحاجات الكبار، ولذلك قيل إن روسو اكتشف الطفولة. وفى كتابه «أصل اللامساواة» تحدث روسو عن الطبيعة بالمفهوم الثالث. فالحياة الطبيعية فى رأيه هى ما قبل الحياة الاجتماعية. فالشر لا يصدر عن الطبيعة وإنما يصدر عن المجتمع الفاسد. ومن ثم دعا روسو إلى إقصاء الطفل عن المجتمع الفاسد حتى يتسنى له إظهار خيريته الكافية. ولذلك تبنى روسو سياسة «ارفعوا أيديكم» ودعا إلى التربية السلبية ورفع

القيود الاجتماعية عن الطفل لزيادة تلقائيته والتعلم من الخبرة المباشرة والنتائج الطبيعية التي تترتب على سلوكه.

## الاتجاهات التربوية للحركة الطبيعية:

### أ- أهداف التربية:

حاولت الحركة الطبيعية كما قدمها روسو المحافظة على خيرية الفرد وفضائله الطبيعية وإعادة خلق المجتمع وتأسيسه على الاعتراف بالحقوق الطبيعية للأفراد. ففي كتابه «العقد الاجتماعي» (١٩٧٣) حاول روسو إعادة تشكيل المجتمع السياسي في فرنسا من خلال دعوته إلى إنشاء مجتمع جديد يقوم على المصالح الحقيقية لكل أعضائه ، وليس فيه امتياز للأرستقراطية . والكتاب محاولة لبيان كيف يمكن للأفراد الحصول على خبرات الحياة الاجتماعية دون فقد حرياتهم . وفي كتابه «إميل» (نقلا عن وايلدز Wilds، ١٩٤٤ ) حاول روسو إعداد الإنسان الطبيعي أو تربية الإنسان البرجوازي وفقا لأفكاره الطبيعية. والعلاقة بين العقد الاجتماعي وإميل علاقة قوية . ففي العقد الاجتماعي أخذ روسو الناس على ما هم عليه وحاول خلق مجتمع فاضل تجتمع فيه الحرية والنظام . ولعل ذلك يبدو من قوله في العقد الاجتماعي ( ١٩٧٣ ، ص ٣٣) : « أريد أن أبحث فيما إذا كان يمكن أن تكون في النظام المدني قاعدة ما للإدارة شرعية وأكيدة ، وذلك بتناول البشر كما هم والقوانين كما يمكنها أن تكون». وفي كتابه إميل أخذ روسو القوانين الاجتماعية على ما هي عليه وأراد إعداد شخص قادر على العمل والحياة في ظل تلك الظروف. إن البرنامج التربوي الذي قدمه روسو في كتابه إميل كان موجها لتربية أبناء الطبقات العليا ، لأن أبناء الفلاحين والقراء في رأيه ليسوا في حاجة إلى تربية مختلفة ، فهم على صلة بالطبيعة وفي مأمن من المفاسد التي جلبتها التربية المتكلفة على أبناء الطبقات العليا . ولا أدل على موافقته على التربية التي تلقاها أبناء الفلاحين والطبقات الدنيا من قوله في العقد الاجتماعي (١٩٧٣ ، ص ١٦٩): الفلاحون أسعد الناس في العالم لأنهم مستقيمون وبسطاء ، ويستطيعون تنظيم شئون دولتهم في ظل شجرة بلوط.

## ب- أنماط التربية:

التربية الطبيعية تربية ليبرالية وليست تربية مهنية متخصصة - فلقد كره روسو التخصص لأن فيه زيادة لتبعية الأفراد وإخضاعا لبعض الأفراد إلى غيرهم. لقد أقر روسو أن يتلقى كل فرد تدريبا مهنيا ولكن يجب أن يكون شاملا. واهتمت التربية الطبيعية بالتربية البدنية والصحية ، ووضع روسو بعض القواعد التي تتحدد ملامح التربية الطبيعية التي يريدونها كالمحافظة على تلقائية الأفراد وتجنب الحماية المسرفة أو تقييد حركة الصغار . ودعا روسو إلى قيام الوالدين بتربية الطفل بأنفسهما وعدم ترك الطفل إلى الخدم ودعا الآباء إلى تعريض أبنائهم لمختلف الظروف المناخية من حر وبرد وتجنب الأطباء والأدوية الصناعية. والتربية الطبيعية تؤكد كذلك على التربية الخلقية من خلال التعرض للجزئات الطبيعية على السلوك لا عن طريق المواعظ الخلقية التي لا يفهمها الأطفال . واهتمت التربية الطبيعية بالتربية العقلية والدينية ولكنها أجلت العناية بها حتى يكتمل نضوج الأطفال ويستطيعوا التفكير والمفاضلة بين البدائل وإتخاذ القرار.

## ج- محتوى التربية:

حرص روسو على تجنب المقررات الدراسية المألوفة ودعا إلى التعلم من الظواهر الطبيعية وتدريب حواس الأطفال ، ولذلك كان المنهج الذي اقترحه يتألف من أنشطة حسية وحركية كالجرى والتسلق والعموم والرقص والزراعة والبستنة واستخدام الأدوات. ودعا روسو إلى تجنب تعليم اللغات الأجنبية والاهتمام باللغة القومية. وأجل روسو التربية العقلية والدينية حتى يبلغ الأطفال إلى النضج العقلي. وكان النهج الذي اقترحه روسو لتربية النساء قاصرا لأنه أراد إعداد النساء للقيام بواجبات محدودة هي إعانة الرجل والعمل على إبعاده وتربية الأبناء. ومن ثم اهتم بالتربية البدنية للمرأة ليكون أبنائها أقوياء ودعا إلى تعليمها الغناء والرقص والتطريز وغيرها من المهارات اللازمة لسيدة البيت، ودعا إلى تزويدها بالتعليم الديني والخلقى حتى توفر بيئة منزلية حسنة.

## د- المؤسسات والتنظيمات التعليمية؛

أكد روسو أهمية الأسرة باعتبارها مؤسسة تعليمية وكانت معظم نصائحه التربوية موجهة إلى الأسرة. ولم يكن روسو موافقا على الظروف التعليمية المتاحة في المدارس والكنائس والمجتمع بصفة عامة ودعا إلى إصلاحها وفقا للمذهب الطبيعي الذي تبناه ، ودعا إلى إعداد المعلمين إعدادا تربويا من خلال تزويدهم بالحقائق الخاصة بمراحل نمو الأطفال وطرق التعامل معهم في المراحل العمرية والتعليمية المختلفة. فالنظام التربوي الذي وضعه روسو أوجب معاملة الطفل وفقا لمستوى نضجه. فالطفل يعامل باعتباره حيوانا ثم كشخص بدائي ثم ككائن عاقل ثم ككائن اجتماعي. ونظم روسو تربية إميل في أربعة مراحل هي مرحلة الطفولة المبكرة (من الميلاد حتى الخامسة) وفيها يعامل الطفل باعتباره حيوانا والعمل على إشباع حاجاته، ومرحلة الطفولة المتوسطة ( من الخامسة حتى الثانية عشرة ) وفيها يعامل الطفل باعتباره شخصا بدائيا قليل الحاجات ، ومرحلة الطفولة المتأخرة ( من الثانية عشرة حتى الخامسة عشرة ) وفيها يعامل الطفل بطريقة روتسون كروزو ، ومرحلة المراهقة ( من الخامسة عشرة حتى العشرين) وفيها يعامل المراهق وفقا لمستوى نضوجه العقلي فتقدم له المعارف العقلية والخلقية والدينية .

## هـ- طرق التعليم؛

تمثلت الطريقة التربوية التي اقترحها روسو في جعل الطفل مركزا للعملية التعليمية ودعا الكبار إلى معرفة طبيعة الأطفال وحقائق نموهم التي تحدد أسلوب تعليمهم والعناية بمبولهم الطبيعية وإشباع اهتماماتهم والتعلم من الطبيعة. ويذهب وايلدز Wilds ( ١٩٤٤ ، ص ٣٩٦ ) إلى أن جوهر الطريقة التربوية لروسو يتمثل في ثلاثة مبادئ تعليمية هي مراعاة مبدأ النمو ومبدأ النشاط ومبدأ الفردية.

## خامسا: الحركتان النفسية والاجتماعية؛

ظهرت الحركة النفسية في أواخر القرن الثامن عشر وتطورت في القرن التاسع عشر ، وظهرت الحركة الاجتماعية في القرن العشرين. وسوف نناقش هاتين الحركتين معا لاعتبارات من أهمها اشتراك الحركتين في الاعتماد على الأسلوب

العلمى وتكامل الحركتين فى فهم أهداف التربية والممارسات التعليمية. فالحركة النفسية أكدت على الطفل ونموه والحركة الاجتماعية أكدت على البناء الاجتماعى والشروط الاجتماعية اللازمة للنمو. ولاغنى للجانب النفسى عن الجانب الاجتماعى فى فهم التربية فى العصر الحديث وبخاصة فى القرن العشرين. أما الحركة النفسية فى التربية فقد نماها بستالوزى وفروبل فى المراحل الأولى، وكان لستانلى هول ووليم جيمس وثورانديك فضل تعميم نتائج علم النفس والإفادة منها فى مختلف المراحل التعليمية وفى طرق التعليم وتدريب المعلمين وشروط التعلم وخصائص النمو فى المراحل العمرية المختلفة. وأما الحركة الاجتماعية فى التربية فقد نماها رواد علم الاجتماع التربوى من أمثال ليستر وارد وألبون صمول وإميل دوركايم - فلقد انتظمت جملة الحقائق الاجتماعية ذات الصلة بالتربية فاقترح أصحاب الاتجاه الاجتماعى الافادة منها تجنباً لقصور الاعتماد على حقائق علم النفس وحده. ولقد إهتم الاجتماعيون بدراسة موضوعات ذات صلة مباشرة أو غير مباشرة بالتربية مثل علاقة النظام التربوى بالأنظمة الاجتماعية الأخرى، وعلاقة النظام التربوى بعمليات التغيير الاجتماعى، ووظيفة النظام التربوى فى عمليات الإصلاح الاجتماعى والضبط الاجتماعى، والتأثير التربوى للمؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية والأدوار الاجتماعية فى المؤسسات التعليمية. غير أن علماء الاجتماع الأوائل إهتموا بالتطبيع الاجتماعى والمحافظة على البناء الاجتماعى أكثر من عنايتهم بالنمو الفردى. ونحن نعتقد الآن أن الحركتين النفسية والاجتماعية ضروريتان فى فهم التربية ولاغنى لنا عن إحداهما. وفيما يلى نناقش الاتجاهات التربوية لهاتين الحركتين:

### الاتجاهات التربوية للحركتين النفسية والاجتماعية:

#### أ- أهداف التربية:

اهتمت الحركة النفسية بالأهداف الفردية وحاولت جعل الطفل مركزاً للعملية التعليمية، وعنت باكتشاف خصائص النمو فى المراحل العمرية المختلفة وقوانين التعلم وتنمية الطفل من الداخل بدلاً من فرض معايير الكبار عليه ولذلك أغفلت

جانب التطبيع الاجتماعي . أما الحركة الاجتماعية فقد إهتمت بالتراث الاجتماعي والمثل الاجتماعية العليا والعادات والتقاليد وإعداد الناشئة لحياة الكبار ، وإعانة الفرد على التفاعل الاجتماعي والاتصال وتزويده بالاتجاهات المناسبة للخدمة الاجتماعية وزيادة كفاءاته المهنية والاجتماعية والدينية والخلقية .

### ب- أنواع التربية :

أكد أصحاب الحركة النفسية على النمو الفردي أكثر من تأكيدهم على النمو الاجتماعي ، وتركوا العناية بالجوانب الاجتماعية إلى الاجتماعيين . ولقد اهتم النفسيون فيما يقرر وايلدز Wilds ( ١٩٤٤ ، ص ٤٧٦ ) بالتربية العقلية ، والتربية الخلقية والتربية المهنية من منظور تنمية الملكات الفردية . أما الاجتماعيون فقد اهتموا بكل ما يعين الفرد على العمل والحياة في مجتمعه ، وبالتالي اهتموا بتنمية المهارات الاجتماعية ومهارات الاتصال ، وأكدوا على التربية المهنية في المجالات الصناعية والزراعية والتجارية ، كما أكد الاجتماعيون على التربية المدنية والتربية الترفيهية وتنوع التعليم بحيث يناسب أبناء الطبقات الاجتماعية المختلفة .

### ج- محتوى التربية :

وسع النفسيون المنهج الدراسي وبخاصة في المرحلة الابتدائية حيث اعتقد بستالوزي أن منهج المرحلة الابتدائية يجب أن يشمل على اللغة والحساب والجغرافيا ومبادئ العلم الطبيعي ، لأنه كان يعتقد في ضرورة تنمية جميع ملكات الإنسان ، يقول سعد مرسى أحمد ( ١٩٩٢ ، ص ٤٢٦ ) : إن التربية في رأى بستالوزي « هي نمو جميع قوى الإنسان وملكاته نموا طبيعيا في اتساق وانسجام » ولقد اعتقد كل من هربارت وفروبل في أن اهتمامات الفرد وميوله مستمدة من مصدرين هما احتكاكه بالأشياء في البيئة واحتكاكه بالناس ومن ثم يجب أن تشتمل تربية الفرد على هذين المصدرين . أما الحركة الاجتماعية فقد إهتمت بتزويد الأطفال بأدوات الاتصال الاجتماعي والعلاقات الإنسانية ، وإعانتهم على اكتشاف طبيعة الحياة الاجتماعية ، وبالتالي أكد أصحابها على التعلم الاجتماعي والعمل والسفر والأنشطة اللاصفية والحياة الطلابية باعتبارها وسيلة لإعداد الفرد للحياة الاجتماعية .

## د- المؤسسات والتنظيمات التعليمية:

لم يفكر النفيون في مؤسسات تعليمية جديدة بل اعتقدوا في أن المؤسسات التعليمية التقليدية وافية بتحقيق أهدافهم وتطبيق اتجاهاتهم التربوية غير أنهم قسموا النمو إلى مراحل وجعلوا لكل مرحلة خصائص معينة يجب الإفادة منها في التعليم واقتراح المقررات وطرق التعليم المناسبة. واعتقد الاجتماعيون أن المدرسة انسب مكان لإعداد الفرد للحياة الاجتماعية . ومن ثم نظروا إلى المدرسة باعتبارها مؤسسة اجتماعية تعد التلاميذ للحياة الاجتماعية من خلال التنظيمات والأنشطة الرسمية وغير الرسمية التي تقدمها للتلاميذ. ودعا الاجتماعيون إلى تأكيد العلاقة بين المدرسة والبيت وخدمة المدرسة للمجتمع المحلي برمته والإفادة من موارد المجتمع المحلي في التعليم ، وكان هذا مدعاة لظهور فكرة مدرسة المجتمع. ومال الاجتماعيون إلى طرق التنظيم غير الرسمية بصفة عامة.

## هـ- طرق التعليم:

كان إسهام النفيين في طرق التعليم كبيرا فلقد أكدوا أهمية الطرق الكلية على الطرق الجزئية في تعليم الناشئة ودراسة الأشياء بدلا من وصفها في كلمات غامضة. وابتكر هربارت طريقة تعليمية تتألف من خمس خطوات (سعد مرسى أحمد، ١٩٩٢، ص ص ٤٢٩ - ٤٣٠) هي إعداد المعلم للتلميذ وتهيئته للأفكار الجديدة ، وعرض الأفكار الجديدة وربطها بالأفكار القديمة ، والتعميم والتطبيق. وأكد ثورنديك على الإفادة من قوانين التعلم التي اكتشفها مثل قانون الاستعداد وقانون الاستعمال وقانون الأثر، وأكد أيضا على أهمية نشاط التلميذ في التعلم، أما الاجتماعيون فقد أكدوا على الصلة الوثيقة بين المعلم والمتعلم وأهمية العلاقات غير الرسمية والمناقشات الجماعية وطريقة المشروعات الجماعية، وإشراك الطلبة في إدارة المدرسة وتقييم الحياة الطلابية وتعويد الطلبة على القيادة والتبعية واكتساب قيم التعاون والمسئولية من خلال الأنشطة الخلوية، ومراعاة المعايير الاجتماعية ، وتدريب الفرد على مواقف اجتماعية عيانية.

## المراجع

### أولاً: المراجع العربية:

- ١- جان جاك روسو : فى العقد الاجتماعى ( ترجمة ذوقان قرقوط ) دار القلم. بيروت ، ١٩٧٣ .
- ٢- حسن حسن البيلاوى : محاضرات فى تاريخ التربية ، مكتبة منيرفا للطباعة ، الزقازيق ، ١٩٨٤ .
- ٣- سعد مرسى أحمد ، تطور الفكر التربوى ، ط ١٠ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- ٤- محمد منير مرسى : تاريخ التربية فى الشرق والغرب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

### ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 5-Bacon , F. , The Advancement of learning and New Atlantis (Edited by A. Johnston ) , Clarendon Press, Oxford , 1974.
- 6- Copleston , F. . A History of Philosophy , vol.3, Westminster M.d. , The New Man Press, 1965.
- 7- Eby , F. , & Arrowood , c., The Development of Education , New York : Prentice-Hall , 1934.
- 8- ————— The History and Philosophy of Education, New York : Prentice - Hall, 1940.
- 9- Monroe , p. A Textbook in the History of Education, New York : Macmillan , co. , 1905.
- 10- Power , E. Philosophy of Education , New Jersey : Prentice Hall , 1982.
- 11- Wilds, E. , Foundations of Modern Education , Washington: Farrar and Rinehart, 1944.